

شرح أصول الكافي

[183] ويختاره على ذلك العز لعمله بأن في هذه الرفعة مفاصد غير محصورة، وأنها رفعة دنيوية وذلك الذل رفعة أخروية، والرفعة الدنيوية مثل الدنيا داخرة داحضة، بخلاف الرفعة الاخروية، فإنها باقية أبدا. (والتواضع أحب إليه من الشرف) التواضع التذلل من الوضع وهو خلاف الرفع. والشرف الترفع بالنسب أو بالحسب، والمعنى أن العاقل هو الذي يؤثر التواضع □ على الشرف والرفعة (1) لأنه لما عرف عظمة □ ونظر إلى جلال قدره وكمال قدرته على جميع المقدورات وشدة استيلائه على جميع الممكنات بالايجاد والافناء وغاص في بحار وجوده وكماله وقدرته وتفكر في قهره ومنعه وجوده احتقر نفسه ووجوده وكماله وقدرته بل لا يرى لنفسه وجودا وكمالا وقدره، وإنما يرى هذه الامور الجاهل الذي لم يخطر بباله ذات الباري وصفاته فيرى لنفسه وجودا ولوجوده آثارا نظير ذلك أن من لم يرمأ أبدا ثم رأى جدولا صغيرا فإنه يستعظمه فإذا وقف هناك بقي له ذلك الاستعظام، وأما إذا جاوزه ورأى نهرا عظيما فإنه يزول عنه ذلك الاستعظام ويستعظم هذا النهر ثم إذا جاوزه ورأى بحرا زاخرا زال عنه استعظام ما سواه قطعا. وإلى ما ذكرنا أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: " إنه لا ينبغي لمن عرف عظمة □ أن يتعظم " (2) فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمت أن يتواضعوا له في هذا التعليل إشارة إلى أن التواضع له سبحانه عين الرفعة وذلك لأن □ سبحانه هو العظيم المطلق وكل عظمة ورفعة فمستفاده من وجوده والقرب منه فكما كانت العادة جارية من الملوك في حق من يتواضع لهم ويوفيههم حقهم من الاجلال والاكرام وحسن الانقياد أن يرفعوه ويعظموه كذلك عادة مالك الملوك جل شأنه، يرشد إلى ذلك رفعة حال الأنبياء والأوصياء والصالحين عليهم صلوات □ أجمعين، ويدل عليه قول الصادق (عليه السلام) " إن في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع □ رفعاه ومن تكبر وضعاه " (3) وقول أمير المؤمنين (عليه السلام) " لا حسب كالتواضع " (4) يعني في إيجاب الرفعة هذا حال التواضع □ سبحانه وأما التواضع للفقراء والصالحين فمن شعب تواضعه □ تعالى شأنه لأن من أحب أحدا _____ 1 - الشرف والرفعة معنى جزئي يدركه الوهم ويحب الإنسان بهذه القوة الخبيثة والعقل لا يصدق بحسن ذلك إلا أن يكون وسيلة إلى دفع ظلم عن مظلوم أو ترويح حق كما قال سليمان (عليه السلام) " رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي " أراد ذلك لانفاذ الحق وترويح التوحيد وحينئذ فلا يكون الشرف مطلوبا لذاته بل إذا علم أن مقصوده الديني يحصل بالتواضع والخمول والضعفة كان طالبا له دون الشرف وبالجمله فطلب الرفعة من علامات ضعف العقل وغلبة الوهم (ش). 2 - النهج أبواب الخطب تحت

رقم 145 - أوله " فبعث محمد صلى الله عليه وآله بالحق ". 3 - الكافي كتاب الايمان والكفر
باب التواضع تحت رقم 2. 4 - النهج أبواب الحكم تحت رقم 113. (*)
